

الفواصل القرآنية المستندة إلى التثنية
الكلمات المفتاحية: الفاصلة _ التثنية _ الايقاع
البحث مستل من رسالة ماجستير

عبدالرحمن محمود كريم ناوي

أ.م.د وسن عبدالمنعم الزبيدي

جامعة ديالى/كلية التربية للعلوم الانسانية

abdulrahmanmahmood2@gmail.com www.WsnaIzubaidi@yahoo.com

الملخص

يناقش البحث الفواصل المستندة إلى التثنية في القرآن الكريم، فالفاصلة مظهر من مظاهر إعجازه، ولبنة أساسية من لبنات البناء التركيبي للآية الكريمة، لذلك نجد التوافق التام في فواصل النص المعجز عن طريق اختيار أدق الألفاظ للدلالة على المعنى، وانسب الحروف، ذات الجرس الصوتي الواضح لدى السامعين، والذي ينسجم ونهاية الآية التي يكون عليها الوقف، بل قد يحذف، أو يغير، أو يكرر بعض الألفاظ، من أجل استقامة الفاصلة وانسجامها مع سياقها.

المقدمة

الحمد لله الذي جعل للإنسان عينيّن ولساناً وشفهتين، وهدهد النجدين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين وأصحابه الغر الميامين.
وبعد

تُشكل الفاصلة القرآنية واحدة من المظاهر الاسلوبية البارزة التي تتصل بدراسة نظم الآية التركيبي، وواحدة من الصور البديعة التي تبين البعد الجمالي للنص القرآني عن طريق عنايته باختيار الالفاظ المناسبة لفواصله، والسعي لتحقيق موسيقى اللفظ في جملة وعباراته، والتناغم والتناسق بين الحروف في تراكيبه، لذلك نجد ان اغلب الفواصل القرآنية تنتهي بألفاظ دقيقة لا يمكن أن تؤدي غيرها معناها أو قيمتها الصوتية، لا سيما الفواصل التي تستند إلى صيغة المثني، كأن، تنتهي الفاصلة بلفظ مثني صريح، أو قد يُحذف اللفظ المثني، أو يُغيّر إلى المفرد أو الجمع أو العكس، تبعاً لما يتطلبه السياق العام للآية، وانسجامها مع نظيراتها من الآيات الأخرى، وهذا من السمات التي تكشف جمالية النص المعجز، وأسرار اختيارات ألفاظه، تبعاً لدلالاتها الصوتية، لذا سنحاول في هذا البحث كشف

القيمة الفنية والصوتية التي تؤديها صيغة المثني في نهاية الآيات وتبعاً لذلك قُسم البحث على:

١. الحذف مراعاة للفاصلة.

٢. الاستغناء بالثنائية عن الإفراد.

٣. الاستغناء بالإفراد عن الثنائية.

٤. الاستغناء بالجمع عن الثنائية.

٥. مظهر التكرار.

٦. تغاير النسق.

٧. الفواصل الداخلية.

وقد افادت الدراسة من أهم المصادر والمراجع والبحوث السابقة منها (البرهان في علوم القرآن، والاعجاز البياني ومسائل بني الازرق، وفواصل الآيات القرآنية، والفاصلة القرآنية دراسة في سبلها المغايرة).

والله ولي التوفيق

الفواصل المستندة إلى الثنائية

تعدُّ الفاصلة القرآنية من الصور الحية التي ترسم تناسق وانسجام النص المعجز بإيقاعها الموسيقي الفريد الذي ينتج عن التلاؤم بين اللفظ والنسق الذي يرد فيه، مما يعطي السياق قيمة جمالية ودلالية بارزة، لا تقتصر على الناحية الصوتية فحسب، بل تتعداها لتأتي لمقتضيات معنوية أخرى تتسجم مع الجرس الإيقاعي الخاص بها، وائتلافها مع الألفاظ التي اقتضتها تلك المعاني. وقد عرّفها الرّماني (ت ٣٨٦ هـ) بأنها: ((حروف متشاكلة المقاطع توجب حسن إيفهام المعاني))^(١)، أما الزركشي (ت ٧٩٣ هـ) فقد جعل الفاصلة كقرينة السّجّع في الكلام المنثور، وكالقافية في الكلام المشعور^(٢). فهي جزء لا يتجزأ من تركيب الآية القرآنية وبنائها الداخلي، إذ تختتم بها كلُّ آية، ويكمل معها معناها، ويتمّ نغمها الموسيقي^(٣). وتُسَمَّى بالفاصلة؛ لأنّ الكلام عندها ينفصل عن الكلام الذي يليه، إذ ذكر الله تعالى أنّ هذا القرآن نزل مُفصَّلاً بقوله: ﴿وَلَقَدْ جِئْنَاهُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾

{الأعراف: ٥٢}. وقوله تعالى: ﴿الرَّكَنُ أَكْرَمُ عَيْنُهُ، ثُمَّ فَصَّلَتْ مِنْ لَدُنِّ حَكِيمٍ خَيْرٍ﴾ {هود: ١}

{١}. وقوله تعالى: ﴿كِنْدُ فُصِّلَتْ عَيْنُهُ، فَرَأَى أَنَا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ {فصلت: ٣}. فهي الفقل

الإيقاعي لكل آية، والموضع الذي يستريح به القارئ المرثل للقرآن الكريم، كما أنّ الضربات الإيقاعية للفاصلة القرآنية أشبه ما تكون بقافية الشعر، أو قرينة النثر، غير أنّ الاختلاف يكمن في الالتزام بها فالشاعر ملزم أن ينهي قصيدته بحرف أو حرفين من بداية القصيدة إلى نهايتها، وهذا ما يؤدي به إلى التكلف أحياناً من أجل إرضاء القافية، ولو كان ذلك على حساب المعنى وجمال التركيب، ويظهر ذلك جلياً عند كُتّاب النثر أيضاً الذين يميلون إلى المحسنات اللفظية في كلماتهم، ما يصرفهم عن جمال المعنى ويبعدهم عن تناسق التركيب، وهذا عكس الفاصلة القرآنية التي تأتي ((مستقرة في قرارها، مطمئنة في موضعها، غير نافرة ولا قلقة، يتعلق معناها بمعنى الآية كلها، تعلقاً تاماً، بحيث لو طرحت لاختل المعنى واضطرب الفهم، فهي تؤدي في مكانها جزءاً من معنى الآية، ينقص ويختل بنقصانها))^(٤). وهذا ما أعطاهاميزة خاصة لا يمكن مقارنتها بالكتابات الإبداعية البشرية التي يتخللها الضعف والنقصان، كما أنها تضيف إلى ((الآيات القرآنية جرساً موسيقياً له أثره الخاص في النفس والوجدان، فقد جاءت تلك الفواصل بإيقاعات مختلفة تتناسق مع سياق الآية وجوها المعنوي، إذ تعد جزءاً لا يتجزأ من الآية بل تكون متممة لمعناها، ومكملة لمضمونها، فهي تمنحها إيقاعاً موسيقياً رائعاً، يبعث على الدهشة والانبهار والانجذاب إليها، بما تضيفه من سحر بياني فتان))^(٥).

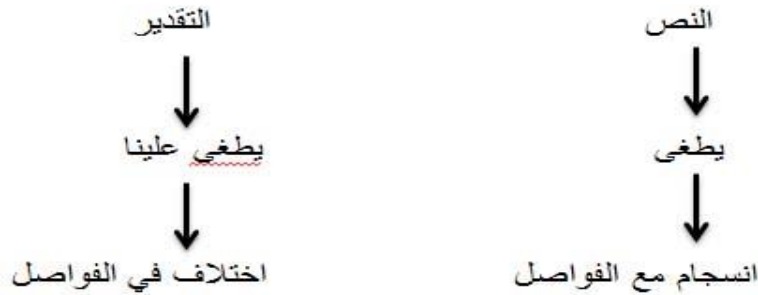
ولأهمية الفاصلة هذه نجد أن طبيعة اختيارها في القرآن الكريم إنما يأتي بحسب حاجة السياق أو النظم إليها، لا بحسب مطلب شكلي مسبق يفرض على سياق الآية، لذلك نرى أن النظم القرآني قد يحذف شيئاً من سياق الكلام، أو يزيد عليه شيئاً آخر، ولربما يُقدّم أو يُؤخّر أو يُبدّل لفظاً مكان آخر من أجل انسجام الفواصل ((فالصوت والموسيقى يعطيان انطباعات وأحاسيس تحقق قدرًا من حساب التوقع الذي تنتجه علاقة المتلقي باللغة واستثناسه بسياقها، وأساليبها))^(٦).

وبعد الذي سقناه من بيان قيمة الفاصلة، سنرصد بعض الظواهر التي تكشف بوساطتها القيمة الفنيّة والجماليّة لفواصل الآيات القرآنية. وهل مراعاة الفواصل يكون مجرد مراعاة شكلية لرونق الآية اللفظي؟ أم أن هذه الفواصل تأتي مراعاة لمقتضيات السياق المعنوية، مع نسق الإيقاع الخاص بها؟ ومن هذه الظواهر:

١. الحذف مراعاة للفاصلة

ولحرص الأسلوب القرآني البديع على إيقاع ألفاظه وتناسق فواصله قد تُحذف بعض الأحرف، أو الكلمات، أو الجمل، لتتوافق مع الفاصلة السابقة أو التالية لها من دون أن يحدث أي خلل في بنية النص أو المعنى. فالحذف من الأنساق التي تبحث عن إيقاع مفقود في سياق النص نتلمس وجوده في سلسلة الاختراقات التي تطابق الدال والمدلول^(٧). ومن الآيات التي جاء فيها الحذف مراعيًا للسياق العام الذي ورد فيه ومراعيًا للفاصلة، قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّنَا إِنَّا نَخَافُ أَنْ يُفْرِطَ عَلَيْنَا وَأَنْ يَطْغَى﴾ {طه: ٤٥}. والمحذوف في الآية هو متعلق (يطغى) وهو (علينا) الذي يعود على المثنى موسى وهارون (عليهما السلام). ويرى ابن عاشور أن هناك احتمالين لحذفه، إما حذفه لدلالة نظيره عليه، أو حذفه مراعاةً للفاصلة، والتقدير: أو أن يطغى علينا^(٨).

الشكل رقم (١)

حذف الكلمة مراعاةً للفاصلة^(٩)

وكان السياق العام للآية يوحي بعدم الحذف، إذ ورد قبله الفعل (يفرط) مع متعلقه (... أن يفرط علينا..). وهذا الحذف له دلالاته المعنوية والجمالية بجانب مراعاته الفاصلة، فلا شك أنه لو ذكر المتعلق (علينا) لم تتسجم الفاصلة مع فواصل الآي الأخرى (طغى، يخشى، أرى، الهدى..). كما أن التغيير في الإيقاع الصوتي داخل بنية الجملة أسهم في إحداث صدمة مغايرة للتوقع من خلال المفاجأة بالحذف. فقد صرح بالفاصلة وألمح بالمعنى، والتلميح ابلغ للمعنى، وظهور الفاصلة ابلغ للسامع.

وقد لا يكفي بحذف كلمة واحدة فقط، بل يحتاج لحذف أكثر من كلمة من أجل أن تتسجم الفاصلة، وهو ما جاء في الآية التالية في السورة في قوله تعالى: ﴿ قَالَ لَا تَخَافَا إِنِّي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى ﴾ {طه: ٤٦}.

فالمحذوف في هذه الآية هو مفعول أسمع وتقديره (أقوالكما) ومفعول أرى وتقديره (أفعالكما)^(١٠)، والسياق القرآني ((أنزل فعلي (أسمع وأرى) منزلة اللازمين إذ لا غرض لبيان مفعولهما بل المقصود: أنني لا يخفى عليّ شيء. وفرع عليه إعادة الأمر بالذهاب إلى فرعون))^(١١).

الشكل رقم (٢)

حذف الجملة مراعاةً للفاصلة^(١٢)



وقد أسهم هذا الحذف كما في الآية السابقة في تحقيق التناسق والانسجام بين الفاصلة (أرى) والفواصل التي تتقدمها والتي تلتها، إذ إن جميع هذه الفواصل مبنية على الألف، وهو من الحروف الهوائية التي تخرج من أقصى الحلق^(١٣)، والذي ينسجم مع شخصية السورة المكيّة التي يشيع فيها جوّ الحوار ويغلب على آياتها الانتهاء بالفواصل المطلقة الحركة بالفتح المتحول إلى ألف. فنلاحظ أن حذف المعمول المثني في نهاية الآية أدى إلى استمرار هذا الحذف الإيقاع الملحوظ والمركّز على حرف المد وهذا ما جعل الفاصلة مستقرّة في مكانها متلائمة مع سياقها بلا نفور أو قلق إذ لو تغيّرت لاختل النظام واضطرب الفهم.

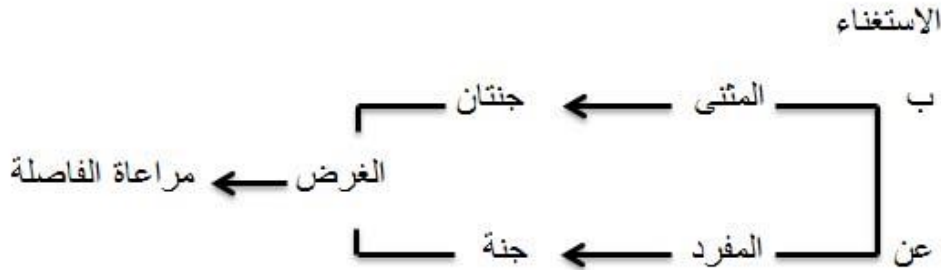
٢. الاستغناء بالتثنية عن الأفراد

قد يستغني الكلام عن صيغة المفرد بصيغة المثني لتتسجم الفاصلة مع سياقها ما يضيف إليها حلية جمالية لا تقتصر على الرونق اللفظي فحسب بل تؤدي معنى جديداً يظهر من

خلال الكشف عن معاني النص المتعددة كقوله تعالى ﴿وَلِمَن خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٌ﴾ {الرحمن: ٤٦}.

الشكل رقم (٣)

الاستغناء بالمتنى عن المفرد مراعاةً للفاصلة^(١٤)



فقد ذهب الفراء (ت ٢٠٧هـ) إلى أن المراد به جنة واحدة ولكنه عدل بها إلى التثنية نظيراً لما تستعمله العرب في أشعارها^(١٥). فيما تخالف عائشة عبد الرحمن بنت الشاطئ الفراء وترى أن الكلام لا عدول فيه بقولها ف((ليست تثنية جنتين مراداً بها الأفراد وعدل القرآن إليها مراعاةً للنظم كما ذهب (الفراء)؛ وإنما السياق قبلها وبعدها على التثنية. وواضح أن المراد بالآية : ولمن خاف مقام ربه من الإنس والجان، جنتان (ذواتا أفنان))^(١٦). ومع اختلاف الآراء في بيان القصد من هذا العدول في نهاية الآية إلا أننا نجد انه قد أسهم في إعطاء هذه الآية نبراً موسيقياً أثر في نفس القارئ وأسهم في جذب انتباهه عن طريق التوافق بين هذه الفاصلة وفواصل السورة الأخرى التي هيمنت عليها صيغة التثنية.

٣. الاستغناء بالأفراد عن التثنية

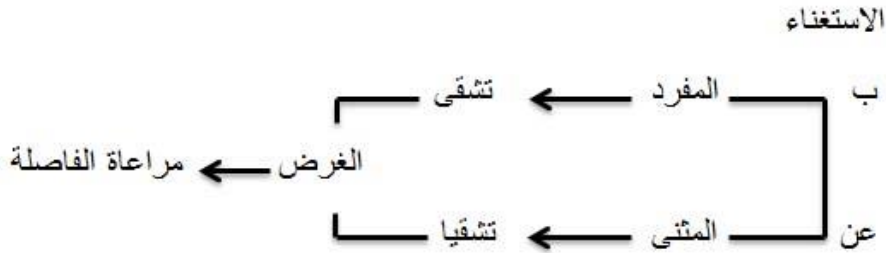
وهو عكس السابق إذ يستغني السياق عن صيغة المتنى بصيغة المفرد ليحقق انسجاماً لفظياً ومعنوياً على السواء ومثل ذلك قوله تعالى: ﴿فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكَ مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى﴾ {طه: ١١٧}.

فقد استغنى عن المتنى (تشقياً) بالمفرد (تشقى)^(١٧)، بإسناده فعل الشقاء إلى الضمير المستتر (أنت) العائد على المفرد آدم عليه السلام. بينما ظاهر السياق يُشير إلى إسناده إلى التثنية (هو وزوجه) أي: فلا يخرجكما من الجنة فتشقى^(١٨).

فإن نسبة الشقاء إلى ادم دون حواء (عليهما السلام) بعد إشراكها معه في الخروج لأنه في ضمن شقائه شقاء أهله، وفي سعادته سعادتهم، فاقصر الكلام على ذكره دونها مع ما فيه من المحافظة على الفواصل^(١٩).

الشكل رقم (٤)

الاستغناء بالمفرد عن المثني مراعاة للفاصلة^(٢٠)



ويبدو أن هذا العدول في الفاصلة مع ما فيه من دلالة معنوية فهو يحتمل دلالة صوتية جميلة من خلال إحداث الانسجام بين فواصل الآيات الأخرى ((إذ إن الفواصل في هذه الآية مختتمة بألف مقصورة، فجاءت على هذه الصورة لتتناسب الفواصل، وتناسب الفواصل من الأمور التي تطلب في بلاغة الكلام))^(٢١). ورغم تأديته للمعنى بصورة مغايرة إلا أنه أدى إيقاعاً لفظياً جميلاً منسجماً مع السياق، فالفواصل السابقة والتالية لها تختتم بلفظ مفرد ينتهي بحرف الألف (أبي، تشقى، تعرى، تضحي، يبلى...) وهذا ما شكّل نسقاً موسيقياً خاصاً بهذه الآيات لو لم يأت على هذه الشاكلة لاختلف المعنى العام بضمه الفاصلة والتنغيم والسبك النصي المتماسك.

ومثاله أيضاً قوله تعالى أيضاً في سورة (ق): ﴿إِذْ يَنْفَخُ الْمُتَلَفِيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ

{ق: ١٧}.

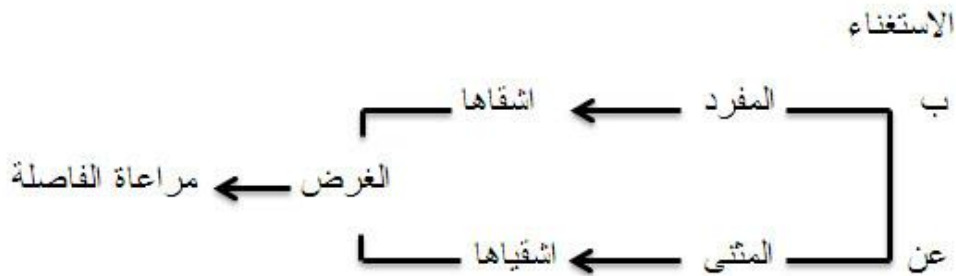
أي عن اليمين قعيد وعن الشمال قعيد^(٢٢). فجعل القعيد واحداً واكتفى به من صاحبه لوضوح المعنى^(٢٣). إذ وقع الانتقال في حالة الاصطحاب هنا من المثني (قعيدان) إلى المفرد (قعيد)^(٢٤). وهذا الانتقال بين الأفراد والتنثية أدى إلى تحقيق الانسجام والتلاؤم في الفاصلة مع فواصل السورة الأخرى (الوريد، تحيد، الوعيد...) والتي انتهت بأكثر من (٢٧) فاصلة بحرف الدال.

الشكل رقم (٥)

الاستغناء بالمفرد عن المثنى مراعاةً للفاصلة^(٢٥)

ونظير ذلك قول الفراء في قوله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَنِهَا ۖ إِذِ انبَعَثَ أَشْقَاهَا ۗ﴾ {الشمس: ١١ - ١٢} بأنهما رجلان: قدار وآخر معه، ولم يقل أشقيها مراعاةً للفاصلة^(٢٦). ويرى أبو السعود أن هذا الأمر دارج عند العرب ((فإن أفعال التفضيل إذا أُضيف يصلح للواحد والمتعدد والمذكر والمؤنث))^(٢٧). فالانتقال من اللفظ المثنى (أشقيها) إلى المفرد (أشقاها) لم يأت لمراعاة الفاصلة فحسب، بل مراعاةً للغة العرب التي نزل بها القرآن الكريم.

الشكل رقم (٦)

الاستغناء بالمفرد عن المثنى مراعاةً للفاصلة^(٢٨)

٤. الاستغناء بالجمع عن التثنية

لا يختلف هذا النوع عن سابقه في جمال الانتقال من صيغة إلى أخرى، فقد يستغني بصيغة المثنى عن الجمع لغاية إعجازية بليغة كما في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ۗ﴾ {فصلت: ١١}.

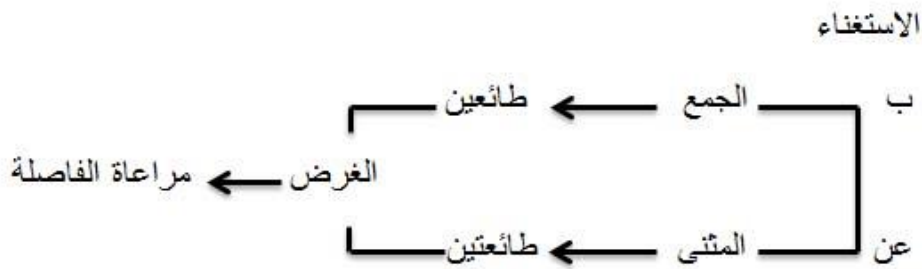
إذ جاء قوله (طائعين) جمعاً منصوباً على الحال من السماء والأرض^(٢٩). في حين أن سياق الكلام كان يشير إلى مجيئه مثنى (طائعتين) وقد تساءل الزمخشري (ت ٥٣٨هـ) عن

هذا العدول قائلاً ((فان قلت: هلا قيل طائعتين على اللفظ أو طائعات على المعنى؛ لأنهما سموات وأرضون قلت: لما جعلن مخاطبات ومجيبات ووصفن بالطوع والكراهة قيل طائعتين في موضع طائعات نحو قوله ساجدين))^(٣٠).

ولو أجرى اللفظ على القياس في نهاية الفاصلة فقال (طائعتين) ولم يقل (طائعتين) لاختلقت الخصائص الأسلوبية المتحققة من التنغيم المعتمد على حرف المد في الفواصل السابقة لها (رب العالمين، سواء للسائلين) والتالية لها (العزیز العليم). فكأنما قالوا (اتينا بما فينا طائعتين) وهن بما فيهن سيكون جمعاً وهذه دلالة الكثرة التي تدل على عظمة الخالق في إخضاع كل الموجودات في السماوات والأرض لقدرته. ومعنى ذلك أن هذا الانتقال في الفاصلة جعلها تلتحم التحاماً تاماً مع معنى الآية، فحافظ على معنى الآية الدقيق وأعطاه رونقاً لفظياً جميلاً يتلاءم مع سياقها.

الشكل رقم (٧)

الاستغناء بالجمع عن المثني مراعاةً للفاصلة^(٣١)



٥. مظهر التكرار

كان لظاهرة التكرار حظ وافر في الفاصلة القرآنية، تبعاً لما يتطلبه السياق من بواعث ومقتضيات كأن يفيد توكيد المعنى وتقويته، أو توضيح تفاصيله وأجزائه، إضافة لما يسهم به من تنبيه إلى العناية باللفظ المكرر، ودعوة إلى الاهتمام به عن طريق تمييزه عن غيره، وتوليد التفاعل النفسي والمشاركة الوجدانية من قبل القارئ المتلقي نحو اللفظ المكرر. ولا يشترط أن يكون التكرار في الألفاظ فقط بل قد تتكرر آية كاملة أكثر من مرة وتكون هي الفاصلة المهيمنة على السورة كما جاء ذلك في سورة المرسلات إذ تكررت آية ﴿وَبَلِّغْ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ عشر مرات، وكذلك في سورة الرحمن إذ تكررت الآية القائمة على التنبيه ﴿فِي أَيِّ

ءِ الْآءِ رَبِّكُمْ تَكْذِبَانَ ﴿٣٢﴾ إحدى وثلاثين مرة مثلت من خلالها لازمة موسيقية أضفت على السورة رونقاً خاصاً أفاد من نسق تكرارها^(٣٢) وقد أسهمت في شدّ المتلقي ((لأنّها تخبث أفق انتظاره فتزيد على إثر ذلك قدرته على التركيز والإفادة من المعاني السياقية المتولّدة))^(٣٣).

وتعدّ من أكثر صور التكرار جماليّة في كتاب الله العزيز، وقد أفاد هذا التكرار معنىً جديداً أرادته الله تعالى في كل موضع وردت فيه. فالسورة في صدد تعداد الله تعالى لنعمه على عباده، وتذكيرهم بآلائه، وتنبههم على قدر هذه النعم وقدرته عليها، عليهم، وهذا التكرار لآية الاستفهام المبني على التثنية عقب كل نعمة كان الغرض منه تقريع الإنس والجن وتنبههم^(٣٤). كما أن هذه ((التثنية التي تنفرد بها اللغة العربية ليست تثنية مفردين، بل تثنية جموع (معشر الإنس) و(معشر الجن) مما يحقّق الغرض الديني في مخاطبة الجماعات، ومما يُثري الأداء الفني))^(٣٥).

ولا يخفى على القارئ الكريم ما لهذه الفاصلة في سورة الرحمن من ((قفلة لطيفة توضيحية كأنها قافية شعرية تبعث الراحة في نفس القارئ من البهر، وترشده إلى إجابة موطن الوقف وتلوين الصوت))^(٣٦). وسورة الرحمن من السور القلائل التي تنتهي بفاصلة المثني وانتهاء الفاصلة بالألف والنون يزيد من روعة التلاوة لما تنتج من إيقاع محبّب إلى نفس المتلقي، ولما تمدّ به القراء من الفسحة الواسعة ألوان التنغيم الأخاذ، لكي يستثيروا من خلاله مشاعر السامعين ويجعلونهم يرددون هذه الفاصلة مع نهاية كل آية أو آيتين دون ملل أو ضجر.

ومن تكرار الألفاظ في فواصل الآيات القرآنية قوله تعالى: ﴿كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا

﴿٢١﴾ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾ {الفجر: ٢١ - ٢٢}.

فهي من الفواصل المتوازية التي يتحقّق فيها الوزن دون الروي إذ تعتمد على تكرار أصوات سابقة أو الميل لاستخدام حروف وأصوات متقاربة المخارج^(٣٧). فتتابع الأصوات وتتاليها في الألفاظ المكررة مرتين في نهاية الآيات السابقة يتّسم بالدقّة رغم الاختلاف في الخصائص وهذا التنوّع في الأساليب حقيقة نظم النص المعجز. فأصوات الكلمات المكررة وما فيها من الرخاوة، والتفخيم والترقيق، واختيارها للفاصلة يناسب طبيعة الأجواء المحيطة بالسياق ويتناسب مع الجرس الموسيقي الخاص بها.

٦. تغاير النسق

أي تغيير نمط الكلام الذي يأتي على نظام متفق؛ إذ يميل التعبير القرآني إلى تغيير الإيقاع الذي ينتج من تكرار نفس الأصوات ما يؤدي إلى الرتابة في بعض آياته وما يولده لدى المتلقي من بعض الملل لتعود السمع على نمط مكرّر من الإيقاع الصوتي والذي نقل معه متعة النفس^(٣٨). ومنه ما نجده في سورة البلد التي تبدأ بسبع آيات تُختتم بألفاظ مفردة تنتهي بفاصلة الدال في (البلد، ولد، كبد، أحد، لبدا)، حتى ينتهي هذا الإيقاع بالانتقال إلى إيقاع صوتي آخر ينتهي بـ (الياء والنون)، ينتمي إلى ألفاظ التثنية في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ جَعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ ﴿٨﴾ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ﴿٩﴾ وَهَدَيْنَهُ النُّجْدَيْنِ ﴿١٠﴾﴾ {البلد: ٨ - ٩ - ١٠}.

وهذا الانتقال في الفاصلة مثل صدمة لدى المتلقي الذي كان ينتظر فاصلة أخرى تنتهي بحرف (الدال) ولكنه تفاجأ بالانتقال إلى فاصلة غير متوقعة تنتهي بحرف (النون). ما أحدث دهشة شعورية لدى القارئ الذي كان يعتقد شيئاً ما وإذا به يجد شيئاً مختلفاً أمامه. وهو من جماليات الأسلوب القرآني.

٧. الفواصل الداخلية

إن اعتماد البيان القرآني على نسق موسيقي خاص ينتهي بنهاية الآية لم يحل دون ورود فواصل داخلية للآية الواحدة فيأتي ((بالقرينة على نسق قرينة سابقة عليها في ترتيب الكلمات، مع اتفاق أو آخر القرائن في الوزن والروي))^(٣٩). كقوله تعالى: ﴿رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ ﴿١٧﴾﴾ (الرحمن: ١٧). وكقوله تعالى: ﴿فَسُبِّحْنَ اللَّهَ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿١٧﴾﴾ (الروم: ١٧).

ففي هذه الآيات جملة موسيقية ذات كيان متميز تمثل بانفراد بنيتها بوجود فاصلة داخلية تتلاءم مع فاصلة نهاية الآية^(٤٠). فتأمل الآية الأولى في سورة الرحمن التي ارتكزت فيها الفاصلة الداخلية (المغربين) على فاصلة الآية (المشرقين) الذي تتسجم بدورها مع السياق العام للسورة المبني على صوت النون المسبوق بالألف الممدودة ﴿فَبِأَيِّ آيَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١﴾﴾ وهذا الإيقاع الموسيقي المتوازن في حسن نظمه أدّى إلى زيادة جمالية النص، فلو جاء اللفظ مفرداً على تقدير: (ربّ المشرق والمغرب) لوجدنا اختلال هذا الإيقاع الناتج عن التثنية. وفي هذه الآية تأكيد للكلام بأن الفاصلة تأتي متوافقة مع السياق العام الذي ترد فيه، فالمشرق

والمغرب ورد بأكثر من صيغة في القرآن الكريم، فقد وردت بصيغة المفرد في قوله تعالى: ﴿رَبِّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا﴾ {المزمل: ٩}، وكذلك بصيغة الجمع في قوله تعالى: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغْرِبِ إِنَّا لَقَدِيرُونَ﴾ {المعارج: ٤٠}، فلو جاء اللفظ مفردًا أو جمعًا لوجدنا الإذن تنبؤ عن سماعه والعقل يشهد بمنافرتة للنظم، ولكنه جاء مثني تماشيًا مع جو السورة العام الذي يهيمن عليه إيقاع التنثية.

من خلال النماذج التي سبقت نستطيع الإجابة عن السؤال الذي طرحناه قبل رصد هذه الظواهر فيما إذا كانت الفاصلة تأتي تبعًا للمعنى؟ أم تأتي لزيادة العناية بالرونق اللفظي والإيقاع؟ أم بالأمرين معًا؟، فوجدنا أن الفواصل القرآنية لا تميل إلى معنى ولا إلى إيقاع، بل تُعنى بالأمرين معًا حسب ما يقتضيه السياق العام. وفي هذا يقول الدكتور فاضل السامرائي: ((إن القرآن الكريم لا يعنى بالفاصلة على حساب المعنى ولا على حساب مقتضى الحال والسياق بل هو يحسب لكل ذلك حسابه فهو يختار الفاصلة مراعى فيها المعنى والسياق والجرس ومراعى فيها خواتم الآي وجو السورة ومراعى فيها كل الأمور التعبيرية والفنية الأخرى))^(٤١). فهي ثلاثم الأبعاد التي تنتهي بها جمل الموسيقى، بصورة عجيبة ثلاثم الإيقاع والمضمون الذي يقصده السياق^(٤٢).

نستنتج من كل هذا أن الفاصلة في الدراسات القرآنية التي وظفت في سياق التنثية من المظاهر الأسلوبية التي ترسم لوحة جمالية تُضفي على النص القرآني إيقاعًا صوتيًا يميّزه عن غيره من النصوص. وهي لا تقف عند المستوى الصوتي والدلالي فقط بل نجدها تتصل بمستويات الدراسة الأخرى كالمستوى النحوي والصرفي والبلاغي. فاختيار الكلمات التي تنتهي بها الفاصلة دائمًا ما يكون مرتبطًا بالسياق العام مما يؤدي إلى تقوية بنية القراءة القرآنية وإظهار جمالية النص القرآني.

الخاتمة

١. إن سعينا الدائب إلى سبر أغوار النص من زوايا عدّة تكشف لنا العناية الكبيرة بالفاصلة القرآنية لما تمثله من القفلة الموسيقية التي يقف عندها القارئ، والكلام الأخير الذي يقرع إذن السامع.

٢. وجد البحث ان الفواصل التي تستند التنثية من المظاهر الاسلوبية التي ترسم لوحة جمالية تُضفي على النص القرآني إيقاعًا صوتيًا لطيفًا يميّزه عن باقي النصوص.

٣. إن الكثير من الفواصل القرآنية تستند إلى التثنية في بنائها التركيبي، وقد أفاد توظيف هذه الصيغة في إحداث الانسجام بين الآيات المتتابعة، لذا وجدنا في بعض الآيات حذفاً للفظ المثني، أو تغييراً في صيغته إلى المفرد أو الجمع بما يتلاءم مع السياق العام.

٤. ورد تكرار الفاصلة المختومة بالتثنية في أكثر من شكل إذ قد تلتزم الفاصلة في جميع السورة كما في سورة الرحمن التي تكررت فيها آية (فبأي آلاء ربكما تكذبان) إحدى وثلاثين مرة، حتى أصبحت لازمة موسيقية تتوافق مع سياق السورة الذي هيمنت عليه صيغة التثنية. وربما يكرر اللفظ المفرد مرتين في نهاية الآية كما في (دكًا دكًا ، وصفًا صفًا) لأنه الأنسب للجرس الإيقاعي الذي يمكن أن يُختم به الكلام.

٥. من الأسرار الجمالية للفاصلة المثناة مجيؤها لمغايرة النسق كما في سورة البلد التي ابتدأت بسبع آيات تنتهي بقافية الدال مغايرة، حتى حدثت المغايرة بعدها بالانتقال إلى اللفظ المثني الذي ينتهي بـ(الياء والنون) في ثلاث آيات وهي(عينين، شفنتين، النجدين)، وهذه المغايرة مثلت صدمة لدى المتلقي أبعدت عنه الرتابة في تكرار القافية وهو من جماليات الفاصلة.

Abstract

*The Quranic Points Based on Duality
An Extracted Research From MA Thesis
Key Words :point, Duality, Rhythm*

Supervisor

Asst.Prof. Wasan Abdulumnim Al-Zubeidy(Ph.D)

University of Diyala/College of Education For Human Sciences

MA Student

Abdulrahman Mahmoud Karim

This research discusses the points based on duality in the holy Quran, as the point is considered as an aspect of ijaz and a basic layer of its synthetic structure to its aya. And so we find that the exact words are chosen to signify the meaning and the most suitable letters of the prominent rhythmic units to the listeners that suit the end of the aya within which juncture is used. Sometimes certain words are deleted or changed or repeated for the straightness of the points and its harmony with the context.

الهوامش

(١) النكت في إعجاز القرآن (ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن) للرماني والخطابي وعبد القاهر الجرجاني في الدراسات القرآنية والنقد الأدبي: ٩٧، تحقيق: محمد خلف الله احمد، ود. محمد زغلول سلام، دار المعارف، مصر، ط ٣، (د.ت).

- (٢) ينظر: البرهان في علوم القرآن، للإمام بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي: ٩٣/١، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة دار التراث، القاهرة، ط٣، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.
- (٣) ينظر: من بلاغة القرآن، أحمد أحمد بدوي: ٦٥، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، (د.ط.)، ٢٠٠٥م.
- (٤) من بلاغة القرآن: ٦٥.
- (٥) الجرس والإيقاع في الفواصل القرآنية، أنسام خضير جليل: ٢٢٢، مجلة كلية الآداب، العدد ٩٨.
- (٦) الفاصلة القرآنية: دراسة في سبلها المغايرة وأثرها الأسلوبي، أ.د. إياد عبد الودود الحمداني: ٩٩، مجلة المورد، العدد ٣، ٢٠١٤م.
- (٧) ينظر: شعرية الانزياح دراسة في جماليات العدول، الدكتورة خيرة حمر العين: ٢٥، دار اليازودي، عمان، الأردن، ط١، ٢٠١١م.
- (٨) ينظر: التحرير والتنوير، ٦ / ٢٢٧.
- (٩) شكل توضيحي يبين عملية الحذف مراعاة للفاصلة.
- (١٠) ينظر: تفسير البحر المحيط، محمد بن يوسف الشهير بابي حيان الأندلسي (ت ٧٤٥هـ) / ٦، ٢٣١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.
- (١١) التحرير والتنوير ١٦ / ٢٢٨.
- (١٢) شكل توضيحي يبين عملية الحذف مراعاة للفاصلة.
- (١٣) ينظر: العين مرتبا على حروف المعجم، الخليل بن احمد الفراهيدي (ت ١٧٠هـ) ٤٢/١، تحقيق عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٤هـ، ٢٠٠٣م.
- (١٤) شكل توضيحي يبين عملية الاستغناء بالتثنية عن الافراد.
- (١٥) ينظر: معاني القرآن، أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء (ت ٢٠٧هـ) ١١٨/٣، عالم الكتب، بيروت، ط٣، ١٤٠٣هـ، ١٩٨٣م.
- (١٦) الإعجاز البياني للقرآن ومسائل بني الأزرقي، دكتورة عائشة بنت الشاطي: ٢٥٥، دار المعارف بمصر، (د.ط.)، ١٩٧١م.
- (١٧) ينظر: الإتقان في علوم القرآن، ٥ / ١٧٩٩، وينظر: القول الوجيز في فواصل الكتاب العزيز، الشيخ رضوان المخللاتي (ت ١٣١١هـ): ١٣٧، ط١، ١٤١٢هـ، ١٩٩٢م.
- (١٨) ينظر: أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية، د. حسن طبل: ٩٨، دار الفكر العربي، (د.ط.)، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.
- (١٩) ينظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، أبو السعود بن محمد العمادي (ت ٩٨هـ)، ٦٧١/٣، تحقيق عبد القادر احمد عطا، مكتبة الرياض الحديثة، الرياض، (د.ط.)، (د.ت.).
- (٢٠) شكل توضيحي يبين عملية الاستغناء بالمفرد عن المثني.

- (٢١) من أسرار التعبير القرآني في القرآن الكريم، بناء التراكيب، د. عبد الفتاح لاشين: ١٥٦، دار الفكر العربي، ط١، ١٤٣٥ هـ، ٢٠١٤ م.
- (٢٢) ينظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود الألوسي (ت ١٢٧٠ هـ) ٢٦ / ١٧٩، دار إحياء التراث، بيروت، لبنان، (د.ط)، (د.ت).
- (٢٣) ينظر: معاني القرآن للفراء ٣ / ٧٥.
- (٢٤) ينظر: تجليات الالتفات في فضاء الخطاب القرآني، د. نوافل يونس الحمداني: ٤٣، الدار العربية للموسوعات، بيروت، ط١، ١٤٣٥ هـ - ٢٠١٤ م.
- (٢٥) شكل توضيحي يبين عملية الاستغناء بالمفرد عن المثني.
- (٢٦) ينظر: معاني القرآن للفراء ٣ / ٢٦٨، وينظر: الفاصلة في القرآن، محمد الحسنائوي: ٣٩، دار عمار، عمان، ط١، ١٤١٢ هـ - ٢٠٠٠ م.
- (٢٧) إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ٥ / ٥٣٨.
- (٢٨) شكل توضيحي يبين عملية الاستغناء بالمفرد عن المثني.
- (٢٩) ينظر: أمالي ابن الشجري، هبة الله بن علي بن محمد بن حمزة الحسني العلوي (ت ٥٤٢ هـ) ٢ / ٤٧، تحقيق محمود محمد الطناحي، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط١، ١٤١٣ هـ، ١٩٩٢ م.
- (٣٠) تفسير الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، الإمام أبي القاسم جار الله محمود بن عمر بن محمد الزمخشري (ت ٥٣٨ هـ): ٤ / ١٨٤، رتبه وضبطه وصححه محمد عبد السلام شاهين، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١٥ هـ / ١٩٩٥ م.
- (٣١) شكل توضيحي يبين عملية الاستغناء بالجمع عن التثنية.
- (٣٢) ينظر: التصوير المجازي أنماطه ودلالاته في مشاهد القيامة في القرآن، أ. د. إياد عبد الودود الحمداني: ٣٩، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، ط١، ٢٠١٣ م.
- (٣٣) الفاصلة القرآنية دراسة في سبلها المغايرة وأثرها الأسلوبي (بحث): ١٠٥.
- (٣٤) ينظر: البلاغة الصافية تهذيب مختصر التفازاني (ت ٧٩١ هـ) في المعاني والبيان والبدیع: ٢٢٣، تقديم وتهذيب وتسهيل محمد أنور البرخشاني، منشورات بيت العلم، (د. ط)، (د. ت)، وينظر: فواصل الآيات القرآنية، د كمال الدين عبد الغني المرسي: ٧٦، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، ط١، ١٤٢٠ هـ، ١٩٩٩ م.
- (٣٥) الفاصلة في القرآن: ٣٠٧.
- (٣٦) فواصل الآيات القرآنية: ٧٧.
- (٣٧) ينظر: فواصل الآيات القرآنية: ١٨٩.

- (٣٨) ينظر: لغة القرآن الكريم في جزء عم، محمود أحمد نحلة: ٣٥٠، دار النهضة العربية، بيروت، (د، ط)، ١٩٨١م.
- (٣٩) فواصل الآيات القرآنية: ٧٧ .
- (٤٠) ينظر: الفاصلة في القرآن الكريم: ٣٦٠.
- (٤١) التعبير القرآني، د. فاضل صالح السامرائي: ٢١٦، مكتبة رشيد الهجري، بغداد، العراق، ط١، ١٤٣٤ هـ - ٢٠١٣ م .
- (٤٢) ينظر: إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مصطفى صادق الرافعي: ٢١٦، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط ٩، ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣م.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

- الإتقان في علوم القرآن، أبو الفضل جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ)، تحقيق مركز الدراسات القرآنية، (د، ط)، (د، ت).
- إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، أبو السعود بن محمد العمادي (ت ٩٨هـ)، تحقيق عبد القادر احمد عطا، مكتبة الرياض الحديثة، الرياض، (د.ط)، (د.ت).
- أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية، د. حسن طبل، دار الفكر العربي، (د.ط)، ١٤١٨ هـ / ١٩٩٨م.
- الإعجاز البياني للقرآن ومسائل بني الأزرق، دكتورة عائشة بنت الشاطي، دار المعارف بمصر، (د. ط)، ١٩٧١م.
- إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مصطفى صادق الرافعي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط ٩، ١٣٩٣ هـ / ١٩٧٣م.
- أمالي ابن الشجري، هبة الله بن علي بن محمد بن حمزة الحسن بن العلوي (ت ٥٤٢هـ)، تحقيق محمود محمد الطناحي، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط ١، ١٤١٣ هـ، ١٩٩٢م.
- تفسير البحر المحيط، محمد بن يوسف الشهير بابي حيان الأندلسي (ت ٧٤٥هـ) / ٦، ٢٣١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط ١، ١٤١٣ هـ / ١٩٩٣م.

- البرهان في علوم القرآن، للإمام بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة دار التراث، القاهرة، ط ٣، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.
- البلاغة الصافية تهذيب مختصر التفتازاني (ت ٧٩١هـ) في المعاني والبيان والبدیع، تقديم وتهذيب وتسهيل محمد أنور البرخشاني، منشورات بيت العلم، (د. ط)، (د، ت).
- تجليات الالتفات في فضاء الخطاب القرآني، د. نوافل يونس الحمداني، الدار العربية للموسوعات، بيروت، ط ١، ١٤٣٥هـ / ٢٠١٤م.
- التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر، تونس، (د. ط)، ١٩٨٤م.
- التصوير المجازي أنماطه ودلالاته في مشاهد القيامة في القرآن، أ. د. إياد عبد الودود الحمداني، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، ط ١، ٢٠١٣م.
- التعبير القرآني، د. فاضل صالح السامرائي، مكتبة رشيد الهجري، بغداد، العراق، ط ١، ١٤٣٤هـ / ٢٠١٣م.
- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود الألوسي (ت ١٢٧٠هـ)، دار إحياء التراث، بيروت، لبنان، (د. ط)، (د. ت).
- شعرية الانزياح دراسة في جماليات العدول، الدكتورة خيرة حمر العين، دار اليازودي، عمان، الأردن، ط ١، ٢٠١١م.
- العين مرتبا على حروف المعجم، الخليل بن احمد الفراهيدي (ت ١٧٠هـ)، تحقيق عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط ١، ١٤٢٤هـ، ٢٠٠٣م.
- الفاصلة في القرآن، محمد الحسناوي: ٣٩، دار عمار، عمان، ط ١، ١٤١٢هـ / ٢٠٠٠م.
- فواصل الآيات القرآنية، د كمال الدين عبد الغني المرسي، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، ط ١، ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م.
- القول الوجيز في فواصل الكتاب العزيز، الشيخ رضوان المخلاتي (ت ١٣١١هـ)، ط ١، ١٤١٢هـ، ١٩٩٢م.

- تفسير الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأفاويل في وجوه التأويل، الإمام أبي القاسم جار الله محمود بن عمر بن محمد الزمخشري (ت ٥٣٨هـ)، رتبه وضبطه وصححه محمد عبد السلام شاهين، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط ١، ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م.
- لغة القرآن الكريم في جزء عم، محمود أحمد نحلة، دار النهضة العربية، بيروت، (د، ط)، ١٩٨١م.
- معاني القرآن للفراء، ابو زكريا يحيى بن زياد الفراء (ت ٢٠٧)، ت: عبدالحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط ١، ١٤٢٤هـ، ٢٠٠٣م.
- معاني القرآن، أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء (ت ٢٠٧هـ)، عالم الكتب، بيروت، ط ٣، ١٤٠٣هـ، ١٩٨٣م.
- من أسرار التعبير القرآني في القرآن الكريم، بناء التراكيب، د. عبد الفتاح لاشين، دار الفكر العربي، ط ١، ١٤٣٥هـ، ٢٠١٤م.
- من بلاغة القرآن، أحمد أحمد بدوي، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، (د. ط)، ٢٠٠٥م.
- النكت في إعجاز القرآن (ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن) للرماني والخطابي وعبد القاهر الجرجاني في الدراسات القرآنية والنقد الأدبي، تحقيق: محمد خلف الله احمد، ود. محمد زغلول سلام، دار المعارف، مصر، ط ٣، (د.ت).

البحوث

- الجرس والإيقاع في الفواصل القرآنية، أنسام خضير جليل، مجلة كلية الآداب، العدد ٩٨.
- الفاصلة القرآنية: دراسة في سبلها المغايرة وأثرها الأسلوبي، أ.د. إياد عبد الودود الحمداني، مجلة المورد، العدد ٣، ٢٠١٤م.

